استثقال توالي الأصوات المتشابهة في بنية ألفاظ العربية

د. علي أحمد النبوت
كلية الآداب – جامعة مصراتة
a.naput@art.misuratau.edu.ly

تاريخ الاستلام 2021.09.18 تاريخ النشر 2021.11.16

الملخص:

مدار هذا البحث، أوجه استثقال توالي الأصوات المتشابهة في أبنية العربية، والسبل التي يسلكها منطق العربية اجتنابا لذلك الاستثقال؛ كلما مسّت الحاجة ودعت أسباب المنطق، على مبدإِ التيسير والخفة؛ طلبًا للفصاحة والجزالة.

والتشابه نوع من التقارب؛ غير أنّه ليس بتقارب مجاورة؛ بل هو تقاربُ طبيعةٍ وصوت والمتشابه من أصوات العربية ثلاثة أنواع:

- تشابهٌ في الطبيعة والجرس والصدى.
- وتشابهٌ في الطبيعة فقط.
- وتشابهٌ في الجرس والصدى فقط مع اختلاف في الترقيق والتفخيم.

ومنطق العرب الفصيح ينبو عن توالي هذه الأنواع من المتشابهات، وما يسبّبه من ثقل في الحكاية؛ فيجنح إلى صيغٍ أخرى أخف وأيسر؛ شريطة أن لا مساس بالمعنى، ولا التباس بلفظ غيره.

وعلى هذا عُقد سنامُ هذا البحث على كيفية اجتناب مواطن الثقل في حياكة ألفاظ لغة العرب.

الكلمات المفتاحية: استثقال، توالي، الأصوات، المتشابهة، العربية.

مقدّمـة:

إذا كان تقارب الأصوات بعضُها من بعض، هو تقارب في المخرج، فإنّ التشابه بينها هو تقارب في الصوت؛ نحيزِته، وجرسه، وصداه، وعلى ذلك كان التشابه نوع من التقارب؛ غير أنّه ليس بتقارب مجاورة بل هو تقارب طبيعة.

ومبدأ المشابهة بين الأصوات قال به علماء العربية الأوائل من قبل؛ ونصّوا عليه صراحة فهذ سيبويه قد نصّ على أنّ "الياء تشبه الألف"[1] ونصّ في موضع آخر أنّ "الألف تشبَّه بالياء"[2] وأنّ "الألف قد تشبه الياء"[3] وأنّ "الدّال تشبه التاء"[4] وأنّ "الكسرة تشبه الألف"[5] وأنّ "الألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما"[6] وأنّ "الهاء قد تشبه الياء"[7].

والفارسي . أيضًا. نصّ في (تعليقته) على أنّ: "الياء تشبه الألف"[8].

وقال به ابن الوراق –أيضًا– فنصّ على أنّ "النُّون تشبه حُرُوف الْمَدّ"[9] و"الْألف تشبه بِاليَاءِ"[10] و"الهَاء تشبّه بِحرف الْمَدّ، لِأَنَّهَا خَفِيفَة"[11] والثمانيني إذ كتب: "الهاء تشبه حروف العلّة"[12].

1- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج3، ط5، القاهرة، 1430هـ/2009م، ص349.

2- نفسه، ج 3، ص350.

3- سيبويه، ج 4، ص117.

4- نفسه، ج 3، ص448.

5- نفسه، ج 4، ص108.

6- نفسه، ج 4، ص189.

7- نفسه، ج 4، ص305.

8- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبوعلي، التعليقة على كتاب سيبويه. تحقيق: د.عوض بن حمد القوزي، ج 5، ط 1، 1410هـ/1990م، ص46.

والعكبري إذ كتب: "النُّون تشبه الواو والميم لما فيها من الغنّة[13] و"النّون تشبه الواو بغنّتها"[14] و"النون غنّةٌ تُشبه الواو"[15] و"النّون تشبه الواو في غُنّتها"[16] و"الميم تشبه الواو[17] و"الواو تشبه الهاء"[18] و"الواو تشبه الباء من وجهين أحدهما أنَ الباء للإلصاق والواو للجمع والمعنيان متقاربان والثّانِي أنّهما جميعًا من الشفتين"[19] وأنّ "الهمزَة تشبه الواو"[20] وأن "اللَام تشبه النّون"[21].

وكتب في موضعٍ آخرَ قولا في المشابهة نصّه: "الهمزةُ تُشبه الألف إذ هي من مخرجها وتحوّلُ إليها وتُصوّرُ بصورتها، والنون تشبه الواو أيضا في مخرجها وغُنّتها وتغَير طبيعتها

9- أبوالحسن محمد بن عبد الله الوراق علل النحو. تحقيق: محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2008م، ص264.

10- نفسه، ص723.

11- نفسه، ص569.

12- أبوالقاسم عمر بن ثابت الثمانيني: شرح التصريف: 346، تحقيق: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، ط 1، مكتبة الرشد، 1419هـ-1999م.

13- أبوالبقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب. تحقيق: غازي مختار طليمات، ج 1، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص477.

14- نفسه، ج 2، ص180.

15- نفسه، ج 2، ص310.

16- نفسه، ج 2، ص317.

17- نفسه، ج 1، ص88 و 482 و 489. وج2، ص330.

18- نفسه، ج 2، ص330.

19- نفسه، ج 1، ص375.

20- نفسه، ج 1، ص120.

21- نفسه، ج 1، ص219.

بالحركة... والهاءُ تشبه الْألف لخفائها وقُربها منها في المخرج، وتشبه الهمزة أيضا، واللاّم تُشبه النون في انبساطها وتقرب من مخرجها لأنّ اللاّم تخرج من أسَلَة اللسان وحافته اليمنى، والنون من أسلة اللّسان[22].

وجاء عن الجزولي –أيضًا– قوله: "النون تشبه الياء والواو"[23].

وقال به ابن عصفور أيضًا فكتب: "اللاّم فمشبهة للنّون، من حيث تستطيل في مخرجها حتى تلحق بمخرج النون"[24] ونصّ على أنّ "السين فإنّها تشبه التاء، لهمسها"[25] وأنّ "الهاء فمشبهة للهمزة، من جهة تقارب مخرجيهما؛ لأنّهما من حروف الحلق"[26].

وقد وردت عنهم أقوال أخرى في المشابهة؛ غير أنّنا لا نرتضيها حُكما، وعندنا أنها على التجاور وليست على التشابه.

ومن تلك الأقوال، قول ابن السراج: "الدال تشبه التاء"[27].

22– العكبري، اللباب، ج2، ص225 و226.

23– عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري المراكشي، أبوموسى، المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: د. شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أم القرى، [د.ت]، ص28.

24– علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، ط 1، مكتبة لبنان، 1996م، ص142.

25– نفسه.

26– نفسه.

27– سيبويه، ج3، ص448. وأبوبكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ج 3، مؤسسة الرسالة، لبنان– بيروت، [د.ت]، ص39.

وقول العكبري: "الميم تشبه الواو فِي مخرجها وغنتها"[28] وقوله أيضًا: "التَّاء تشبه الواو لقرب مخرجها منها وهمسها وانتشارها والنفخ المصاحب لها" وقوله وابن عصفور أنّ "السين تشبه التّاء في الهمس"[29].

فهذه أقوال لا تستقيم في قسطاسنا؛ إذ ما بين هذه الأصوات من سمة ليس تشابه بل هو تجاور.

وعليه فإنّ التشابه واقعٌ في حيز الأصوات، كما هو واقع في حيز المفردات والمعاني والأصوات المتشابهة وإن لم يحدها حيز صوتيٌّ واحد؛ إلا أنّ بينها ضربٌ من المشابهة؛ إمّا في طبيعتها وجرسها، أو طبيعتها فقط؛ مع فرق في نسبة التشابه كالذي بين (التاء والطاء) ونحوهما.

وعليه فإنّ المتشابه من الأصوات، ثلاثة أنواع:

- نوعٌ متشابه في الطبيعة والجرس والصدى، ومنه المعلولان "الواو والياء" ويضاف إليهما الحالات الطوال "المد بأنواعه الثلاث؛ المفتوح والمضموم والمكسور".
- نوع متشابه في الطبيعة فقط كالذي بين المعلولين من جهة، والمشتركات أصوات بين بين (النون والهمزة والهاء) من جهة أخرى يضاف إليها المدود الثلاث.
- نوعٌ آخر متشابه في الجرس والصدى فقط مع اختلاف في الرقّة والفخامة؛ كالذي بين (التاء والطاء) و(الزاي والظاء).

28- العكبري، اللباب، ج 1، ص88 و482 و489، وج 2، ص330.

29- العكبري، اللباب، ج 2، ص225 و226، وابن عصفور، الممتع، ص142.

أولاً: المتشابه في الطبيعة والصدى والجرس.

فأمّا النوع الأول المتشابه في الجرس الطبيعة والصدى، فصورته المعلولان "الواو والياء "فهما لا جرم صنوان في الطبيعة، صنوان في الجرس، وقد نص سيبويه على أنّ: "الياء أخت الواو"[30] ونص العكبري على أن "الواو تشبه الياء"[31].

وهذا التشابه مرده إلى اتفاق في الطبيعة في كل منهما، فكل منهما صوت خالص الاعتلال.

ومردُّ أيضًا إلى وقوع أحدهما بديلا عن الآخر في كثير من الحالات بإبدال الواو ياءً أو الياء واوا، والأول أكثر؛ لأنّ الياء أخفّ عليهم من الواو؛ وقد نصّ على ذلك سيبويه[32] وقال به غيره ويعضد منه منطق اللغة. وعليه يستثقل منطق العربية تركّب الياء مع الواو، وقد كان نص سيبويه على ذلك فكتب: "تستثقل الياء مع الواو"[33] وكتب أيضا: "الياء قد تستثقل مع الواو كما تستثقل الواوان"[34] وكتب أيضًا: "الياء مع الواو مكروهتان"[35].

وعن ابن خالويه أنه لم يجتمع في كلام العرب واو وياء والأول ساكن إلا في أربعة أحرف: هي "خيوان: قبيلة، وحيوة: اسم رجل، وعوى الكلب عوية واحدة، وضَيونٌ؛ وهو الخيطل: ذكر السنانير"[36] ولا غرو فهو مما يتفق وطبيعة منطق العربية في النفور من توالي المتشابهات.

30- سيبويه، ج4، ص453.

31- العكبري، اللباب، ج1، ص375.

32- سيبويه، ج4، ص371.

33- نفسه.

34- نفسه.

35- نفسه.

36- الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ج 1، ط 2، مكة المكرمة، 1979م، ص30.

أما "يوغر ويوحر" وكذلك وجِع يوجَع، ووجِم يوجَم، ووجِل يوْجل"[37] فعند سيبويه والفارسي أن تصحيح الواو أكثر وأجود[38] وعليه قوله تعالى جلّ شأنه: ﴿لا تَوْجَلْ﴾[39].

وقد علّل سيبويه لها بقوله: "وقالوا: وجِل يوجَل فهو وجل فأتّموها؛ لأنّها لا كسرة بعدها فلم تحذف فرقوا بينها وبين يفعِل"[40].

وعند ابن جني أن سبب بقاء الواو في "يوجَل ويوحَل" هو وقوع الفتحة بعدهما[41].

وعطفًا على هذه الأقوال فإننا نقول إنّ تصحيح الواو وإن كان قد خالف سنن اللغة في طبيعتها من حيث استثقال الواو ساكنا؛ غير أنّ المنطق –في كثير من الأحيان– لا يخضع للقاعدة، بل أحيانا يخالفها، إذ لا ضابط في كثير من الحالات غير الاستعمال، وليس للاستعمال من ضابط.

زد على ذلك أن لغات العرب ليست واحدة، وذلك من التنوع في المنطق والسعة فاللذين صححوا الواو إنّما رأوا أن لا استثقال في ذلك، والذين طرحوها إنّما طرحوها على سنن المنطق في استثقال الواو ساكنا، وعليه كان رأي ابن سيده في سبب حذفها من ورِم يرِم، وورِع يرع،

37– سيبويه، 54/4، وأبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د.علي بوملحم، ج 1، ط 1، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م، ص523. ومحمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1395هـ/1975م، ص135.

38– سورة الحجر، الآية 53.

39– سيبويه، ج 4، ص54.

40– سيبويه، ج 4، ص53 و93.

41– أبوالفتح عثمان ابن جني، التصريف الملوكي، ط 2، [د.م]، [د.ت]، ص53.

ووغِر يغِر، ووحِر صدره يحِر ووحِد يحِد ووثِق يثِق، وومِق يمِق، وورِث يرِث، ونحوه أنه "كراهتهم الجمع بين واو وياء"[42].

ومنهم من أبدلها ياء، لخفة الياء على الواو، وعليه قول ابن جني: "وقد قال قوم من العرب (وجل ييْجَل، ووحل ييْحَل) وذلك أنّهم استثقلوا واوا ساكنة بعد ياء، فأبدلوا منها ياءً"[43] وكتب أيضا: "ليس في كلام العرب: واو وقعت بين ياء وفتحة، وليس فيه حرف واحد من حروف الحلق فسقطت إلا حرفًا واحدًا وهو يَذَرُ، والأصل يَوْذَرُ"[44].

وكتب أيضًا: "وقياس الواو إذا وقعت بين ياء وفتحة أن تثبت، مثل: يوْحل، ويَوْجَل، فإن وقعت بين ياء وكسرة سقطت، مثل: يزن، ويعد، وأصله يوزن، ويوعد، وإنما جاز ذلك لأنهم بنوا يذر على يدع إذ كان لا ينطق منهما بفعل، ولا فاعل، ولا مفعول، ولا مصدر"[45].

وقد دلل الأنباري على كراهة توالي الواو والياء بقوله: "والذي يدل على صحة ذلك أنّ الواو والياء إذا اجتمعتا وكانا على صفة يمكن أن تدغم إحداهما في الأخرى قلبت الواو إلى الياء نحو "سيد، وميت" كراهية لاجتماع المثلين وإذا اجتمع ههنا ثلاثة أمثال الياء والواو والكسرة ولم يمكن الإدغام لأن الأول متحرك ومن شرط المدغم أن يكون ساكنا، فلما لم يمكن التخفيف بالإدغام

42- أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 4، ط 1، 1417هـ/1996م، ص14 و166.

43- أبوالفتح عثمان بن جني، المُنصف، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا عبد الغفور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص191.

44- ابن خالويه، ليس في كلام العرب، ج1، ص41.

45- نفسه.

وجب التخفيف بالحذف، فقيل: يعد ويزن، وحملوا "أعد ونعد وتعد" على "يعد" لئلا تختلف طرق تصاريف الكلمة"[46].

ونلحظ أنه وصف (الواو والياء) بالمثلين، والذي بينها هو الشبه وليس المماثلة.

وعليه يستثقل المنطق الواو والياء متواليان، وبما أنّ الواو أثقل فإنّ الحذف يعتريه بصرف النظر عن السبق في الموالاة؛ فأمّا وقوع صوت (الواو) قبل صوت (الياء) فمنه قولهم: "كيًّا" في "كويت الدابة كيًّا" وأصله "كوْيًا"[47].

ومنه أيضًا "أيّام" وأصلها "أيْوام"[48] استثقل الواو بعد الياء فطرح وعوض عنه بتضعيف الياء.

ومنه أيضًا: "قيَّام وقيُّوم" أصلهما "قيْوَام وقيْوُوم"[49] فحذفت وعوض عنها بتضعيف الياء.

والمد كذلك هو المتشابه مع المعلولين جرسًا وطبيعة وصدى؛ لاتفاقهم في المخرج.

وقد نصّ سيبويه على أنّ "الياء تشبه الألف"[50] وفي موضع آخر أن "الألف تشبَّه بالياء"[51] وفي موضع غيره أن "الألف قد تشبه الياء"[52] وبذلك قال الفارسي فكتب: "الياء تشبه الألف[53] وابن الوراق إذ كتب و"الألف تشبه بالياء"[54].

46- أبوالبركات عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ج 2، المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ/1998م، ص783.

47 ابن خالويه: ليس في كلام العرب، ص30.

48- نفسه.

49- سيبويه، ج 3، ص468 و470.

50- سيبويه، ج 3، ص349.

51- نفسه، ج 3، ص350

52- نفسه، ج 4، ص117.

53- الفارسي، التعليقة، ج 5، ص46.

وجاء عن سيبويه أيضًا في (باب ثبات الياء والواو في الهاء التي هي علامة الإضمار، وحذفهما) قوله: "فأمّا الثبات فقولك: ضربهو زيدٌ، وعليها مالٌ، ولديهو رجلٌ، جاءت الهاء مع ما بعدها ههنا في المذكر كما جاءت وبعدها الألف في المؤنث، وذلك قولك: ضربها زيدٌ، وعليها مالٌ"[55] وأردف وهو المراد: "فإذا كان قبل الهاء حرف لينٍ فإن حذف الياء والواو في الوصل أحسن لأنّ الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما، فلما اجتمعت حروفٌ متشابهةٌ حذفوا، وهو أحسن وأكثر، وذلك قولك: عليه يا فتى، ولديه فلان، ورأيت أباه قبل، وهذا أبوه كما ترى. وأحسن القراءتين: "ونزلناه تنزيلاً" و"إن تحمل عليه يلهث" و"شروه بثمنٍ بخسٍ" و"خذوه فغلوه" والإتمام عربيٌّ"[56].

ثانيًا: المتشابه في الطبيعة فقط.

الأصوات المتشابهة في الطبيعة هي الأصوات التي تلتقي في مادتها وعريكتها، ومنها المشتركات (النون والهاء والهمز) والمعلولان (الواو والياء)، يضاف إليها المدود بأنواعه الثلاث.

فالمشتركات تلتقي والمعلولين في العريكة، إذ لكل منها نصيب من الاعتلال.

وقد جاء عن النحاة ما يعضد من تشابه هذه الأصوات فيما بينها، كل له كفل شبه من الآخر، مع فرق في نسبة الشبه ونشبة الاختلاف.

فهذا ابن الوراق ينص على أنّ "الهَاء تشبه بحرف المدّ، لأنّها خفيفة"[57] والعكبري أيضا نصّ على أنّ "الهمزَة تشبه الواو"[58] ونصّ –أيضًا– على أنّ "الواوُ تشبه الهاءَ"[59] ونصّ

54– أبوالحسن محمد بن عبد الله الوراق، علل النحو، تحقيق: محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2008م، ص723.

55– سيبويه، ج 4، ص189.

56– نفسه.

57– ابن الوراق، علل النحو، ص569.

58– العكبري، اللباب، ج 1، ص120.

–أيضًا– على أنّ "الهاء تشبه الْألف لخفائها وقُرْبها منها في المخرج، وتشبهُ الهمزةَ أَيْضًا"[60] ونص –أيضًا– على أن: "الهمزة تشبه الألف إذ هي من مخرجها وتحوّلُ إليها وتُصوّرُ بصورتها"[61] وبذلك قال ابن عصفور فكتب: "الهاء فمُشْبِهةٌ للهمزة، من جهة تقارب مخرجيهما؛ لأنهما من حروف الحلق"[62].

فأمّا (النون) فإنّ المنطق يستثقله ساكنا قبل المعلولات لما بينهما من تقارب طبيعة في الاعتلال، فـ(الواو والياء) خالصا الاعتلال، والنون فيه كفل من الاعتلال، ويزيده من الاعتلال سكونه، وحين يقع قبل أحدهما (الواو) أو (الياء) تغلب فيه طبيعة الاعتلال، فيصدق عليه مبدأُ الاستثقالِ؛ استثقالُ توالي المتشابهات، وما في ذلك التوالي من نفور واستكراه، وقد نص الجزولي على أن "النون تشبه الياء والواو"[63] وقال به العكبري في اللباب فكتب: "النُّون تشبه الواو"[64] وكتب في موضع آخر: "النُّونَ تُشْبِه الواوَ بغنَّتها"[65] وكتب أيضا: "النونَ غنّةٌ تُشْبه الواو"[66] وكتب أيضًا "النّونَ تشبه الواوَ في غُنّتها"[67].

59– نفسه، ج 2، ص330.

60– نفسه، ج 2، ص226.

61– العكبري، اللباب، ج 2، ص225.

62– ابن عصفور، الممتع، ص142.

63– الجزولي، المقدمة الجزولية في النحو، ص28.

64– العكبري، اللباب، ج 1، ص477.

65– نفسه، ج 2، ص180.

66– نفسه، ج 2، ص310.

67– نفسه، ج 2، ص317.

ومن شواهد تشابه النون والواو قول سيبويه: "وتدغم النون مع الواو بغنّة وبلا غنة لأنها من مخرج ما أدغمت فيه النون"[68].

والرأي عندنا أنه على الخفاء لا الإدغام، وبه قال ابن خالويه كتب: "النون تخفى عند الواو ولا تظهر، وقد ظهرت في صنوان وقنوان، وفيه جوابان، قال أهل البصرة: أظهر ولم يدغم لئلا يلتبس فعلال بفعال، وقال أهل الكوفة: ليس سكون النون لازما إذا كان يتحرك في صني إذا صغر، وهو في الجمع أصناء"[69].

وعندنا أنّ رأي نحاة البصرة أقرب إلى المنطقين؛ منطق الحكمة ومنطق اللغة؛ فلا التباس ولا مساس؛ غير أنّ منطق اللغة قد يحتمل منطق حكمة آخر وهو إنما ثبتت النون قبل الواو للكسرة التي في القاف، فإنّ منطق العرب يستثقل (الواو) وقبلها الكسر؛ فجيء بالنون فاصلا بين الواو وبعض أختها (الياء) ليكون عرصة للمنطق بينهما[70].

68- سيبويه، ج 4، ص453.

69- ابن خالويه، ليس في كلام العرب، ص161.

70- وقد يتساءل سائل ما بال "سِوار" و"خِوان" ونحوه، وفيه موالاة الواو للكسر.

فأقول: إنّ البناء ليس بعربي، وأغلب الظنّ أنّه فارسي، وقد قال بذلك ابن فارس في المقاييس. كتب:" وَأَمّا سوار المرأة، والإسوار من أَساورة الفرس وهم القادة، فأراهما غير عربِيَّيْن" أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ج 3، ص115.

وقد أشار إلى ذلك أيضًا: ابن سيدة في المخصص، ج1، ص370، ومحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي في تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، [د.ت]، (باب سور) و(باب هبرز)، ومحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، في لسان العرب، ط 1، دار صادر، بيروت، [د.ت]، (فصل القاف) ومحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبومنصور في تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م (باب السين والراء).=

ومن شواهد استثقال النون ساكنا قبل (الواو) قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[71] وقولك "ومنْ وَعدت"؟

ولو أردت المنطق الفصيح فإنّك تخفي النون، وتعوض عن ذلك بتشديد (الواو) فتنطقه "مِوّال" و"مَوَّعدت" ومذهبهم فيه الإدغام، وعليه قول سيبويه: "وتدغم النون مع الواو بغنة وبلا غنة لأنها من مخرج ما أدغمت فيه النون"[72].

أمّا عندنا فليس هو من الإدغام في شيء؛ إنّما على الخفاء والتعويض، لأنّه ساكن والساكن أضعف من أن يلج المتحرك.

ومن شاهد خفاء (النون) ساكنا قبل (الواو) ما أقر به سيبويه حيث كتب: "سمعت الخليل يقول في انفعل من وجلت: اوّجل"[73].

وعلى ذلك استثقل(النون) قبل (الواو) شبيهه في الطبيعة، فطرح، وعوض عنه بالتعويض في الواو، إذ الأصل "وجِل" ثم زيدت عليه علامة الانعكاس "ان" فصار "انْوَجِل" فجاور النون شبيهه الواو فحذف؛ إذ هو توالي الضّعاف، إذ النون مع صوتِ العلة صوتُ علة، وعوض عن حذفه بتضعيف الواو فصار (اوّجِل) ثم حولت حركة العين من الكسرة إلى الفتحة طلبًا للخفّة؛ لأنّ الكسر يستثقل بعد الواو فصار إلى "اوَّجَل" وهي الصيغة التي سمعها سيبويه من الخليل.

وكذلك هي حالة (النون) ساكنا قبل (الياء) إذ هو يخفى قبله كما يخفى قبل الواو، وهو عندهم الإدغام، وعليه قوله: "وتدغم النون مع الياء بغنة وبلا غنة"[74] ولا نقول به بل هو على الخفاء والتعويض بتشديد الياء.

=ومما يعضد من ذلك أنه الألفاظ التي جاءت على هذا البناء قليلة إلى حد الندرة، وعليه لا يعتد به في طبيعة منطق العرب الأصيل.

71- سورة الرعد، الآية 11.

72- سيبويه، ج4، ص453.

73- نفسه.

ومن شواهد هذه الحالة قوله تعالى: ﴿ومنَ الناس من يَّقول﴾[75] ومنطق القول الفصيح: "ميّقول" وقوله جلّ شأنه: ﴿وظلٍ من يّحموم﴾ فإن منطقه الفصيح: "وظلّمّيْحموم".

ومن شاهده أيضًا مع الياء قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ﴾[76] ونحو ذلك فإن القراءة المعتبرة في الآية ونظائرها الخفاء والتضعيف تعويضا.

ومن شاهده –أيضًا– قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ﴾[77]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى﴾[78]، وقول جل شأنه: ﴿منْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّل﴾[79]، وقوله جل شأنه: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[80].

وخفاء النون ساكنا ليس مقتصرًا فقط على مجاورته للمعلول؛ بل هو كذلك أيضًا مع (الراء واللام) صنويه في الحيز، وشبيهيه في النحيزة، فيخفى خفاءً كاملاً قبل كلٍّ منهما، ويعوض عنه بتشديد ما يواليه منهما، وقد أثبتنا ذلك في حيز الكلام على المتقاربات (اللام والراء والنون).

ويخفى كذلك مع أصوات الفم "الميم والباء" لما بينه وبينهما من شبه في الطبيعة.

ويخفى خفاءً كاملاً أيضًا وهو ساكن قبل أصوات الفم (الميم والباء) لقرب المخرجين وما بينهما من اتفاق في صفة الجهر، وما يمثله من ضعف السكون.

74– سيبويه، ج4، ص453.

75– سورة البقرة، الآية 8. وسورة العنكبوت، الآية 10.

76– سورة الأحزاب، الآية 31.

77– سورة البقرة، الآية 254. وسورة إبراهيم، الآية 31. وسورة الروم، الآية 43. وسورة الشورى، الآية 47. وسورة المنافقون، الآية 10.

78– سورة طه، الآية 114.

79– سورة الروم، الآية 49.

80– سورة المجادلة، الآية 3.

وكذلك الأمر في (النون) مع (المدود) وقد نص ابن الوراق على أن "النّون تشبه حروف المَد"[81] ونص ابن يعيش أيضًا على أنّ "النون بمنزلة حروف المدّ"[82].

وعليه ينأى المنطق عن (النون) قبل المد؛ سيّما الضم والكسر؛ فليس في اللغة "نُو" ولا "نِي". وكذلك هو أمر (الهاء) مع المعلولين فهو من أشباهها، وقد ألمح سيبويه إلى ذلك فكتب: "الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما"[83] ونصّ في موضع آخر على أنّ "الهاء قد تشبه الياء"[84] ونصّ الثمانيني أيضًا على أنّ "الهاء تشبه حروف العلّة"[85].

ونصّ ابن الوراق على أنّ "الهاءَ تشبه بِحرف الْمَدّ، لأَنَّهَا خَفِيفَة"[86] ونص العكبري –أيضًا– على أن "الواوُ تشبه الهاء"[87] ونص ابن عصفور على أنّ "الهاء فمُشْبِهةٌ للهمزة، من جهة تقارب مخرجيهما؛ لأنهما من حروف الحلق"[88].

وليس أدلّ عندنا على شبه بـ (الواو والياء) في طبيعة الاعتلال والضعف أنهما ندر ما يؤلفان لفظا وإن ائتلف اللفظ منها دل على الضعف والاعتلال.

81- ابن الوراق، علل النحو، ص264.

82- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، موفق الدين الموصلي، المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1422هـ/2001م، ج 5، ص545.

83- سيبويه، ج 4، ص189

84- نفسه، ج 4، ص305.

85- الثمانيني، شرح التصريف، ص346.

86- ابن الوراق، علل النحو، ص569.

87- العكبري، اللباب، ج 2، ص330.

88- ابن عصفور، الممتع، ص142.

وقد نص ابن فارس على أن "الهاء والواو والياء: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خُلُوٍّ وسُقوط"[89].

ونص أيضًا على أن "الواو والهاء والحرف المعتلّ يدلّ على استِرخاءٍ في شيْء"[90].

وعن ابن دريد على أن "الوَهْي مصدر وَهَى الشيءُ يَهي وَهْياً، إذا ضعف فَهُوَ واه"[91].

وعن ابن فارس أنه ليس في باب (الواو والهاء) "وَهْوَهَ الحمار حول عانتِهِ شفقة عليها"[92].

ومن ذلك الوَهْن والوهم، وأيضا، وَهَى الشيء، ضعف، وهوى، سقط، والهوةُ: الوهدةُ العميقة[93].

أمّا تألف (الواو) بعد (الهاء) فلم يأتِ منه إلا الضمير في حال الغياب "هو وهي" وتأمل دلالة الصوتين ودلالة الغياب.

وإذا تأمّلت ما تألف من الواو بعد الهاء وجدت دلالته في حيز الضعف والاعتلال، نحو: الهوج: العجلة، والهور: الهدم، والهوس: طوفان الليل، والهوش: الاختلاط والهوك: الحمق والهوعُ: سوء الحرص، والهوف: الريح الباردة، والهول: المخافة والهون: الضعة، فتأمل أيدك الله.

وكذلك الياء بعد الهاء نحو: الهيب: الجبن، والهيج: الاصفرار[94] والهيض: الكسر بعد الجبر[95] والهيط: الصياح[96] والهيم: العطش، والهيل: الصب بلا كيل، ومنه قولهم هيل بلا كيل.

89- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص15.

90- نفسه، ج 6، ص146.

91- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، باب (وهي).

92- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص77.

93- نفسه، ص15.

وكذلك هو أمر الهمزة مع المعلولين، وقد نص ابن السراج على أن "الهمزة تشبه الواو"[97].

والقول نفسه صدر عن العكبري فكتب في اللباب: "الهمزَة تشبه الواو"[98].

ووجه الشبه بينهما هو في الاعتلال، فالواو خالص العلة والهمزة فيه نصيب من الاعتلال، وعلى ذلك جاءت الهمزة بديلا عن الواو "وذلك قولك في وُجوه أُجوه... وكذلك وُرْقه وأُرْقة"[99] وكذلك أقتت إنّما أصله وقتت، وأُرّخ الكتاب إنّما أصله وُرّخ، قاله ابن الوراق[100].

ومن المتشابه في الطبيعة أيضًا، النون وأصوات الفم (الميم والباء).

وفي ذا كتب سيبويه: "تكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم وذلك أنّها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرجٌ من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنّها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنه ليس حرفٌ يخرج من ذلك

94- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مجمل اللغة دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م (باب الهاء الواو وما يثلثهما).

95- نفسه.

96- نفسه.

97- أبوبكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، ج 1، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، [د.ت]، ص120.

98- العكبري، اللباب، ج 1، ص120.

99- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، ج 1، عالم الكتب، بيروت، [د.ت]، ص63.

100- ابن الوراق، علل النحو، ص258.

الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبسٌ، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم، وذلك قولك: من كان، ومن قال، ومن جاء"[101].

وكتب في موضع آخر عن النون والميم "وتدغم النون مع الميم"[102] وأردف يعلل: "لأنّ صوتهما واحد وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون حتى تتبين"[103].

وعليه ولأنهما ذواتا طبيعة صوتيه واحدة تخفى النون قبل الميم، وبعده أيضًا؛ فأمّا خفاؤه وهو قبلُ فمن شواهده قولهم: "امحى" والأصل "انمحى" قال به سيبويه في الكتاب[104] ونظيره "امَّاز وامَّاع"[105] ونحوه.

وقد علّل له ابن جني بقوله أنه "لما لم يكن في الكلام (افَّعَل) علم أنّ هذا انفعل"[106].

ومما يحمل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾[107]، فالقراءة الصحيحة "أَمْ بَعِيدُ مَّا" بنزع التنوين من "بعيدٌ" والتعوض عنه بتضعيف الميم، ومرده موالاة (النون) لشبيهه (الميم) وهو مستثقل، وفيه علة نحوية هي حمله على الإضافة، والتنوين

101- سيبويه، ج 4، ص454.

102- نفسه.

103- نفسه.

104- نفسه، ص455.

105- أبوالفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، ج 2، ط 5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، ص62.

106- ابن جني، الخصائص، ج 2، ص62،

107- سورة الأنبياء، الآية 109.

ممتنع حين الإضافة، ومثله قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ﴾[108]، فمنطقها في القراءة: "أَقَرِيبُمّا".

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وظلٍ من يحموم﴾ فإنّ القراءة الصحيحة "وظلّمِّيْحموم" بخفاء التنوين من "ظلٍّ" وتشديد ميم "من" وكذلك خفاء نون "من" والتعويض عنه بتشديد ياء "يحموم"، ويخفى النون كذلك إذا وقع بعد (الميم) ومنه "قول بعض العرب: "منخلٌ ومنغلٌ فيخفى النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم"[109].

وقد أرجعه سيبويه إلى تجاور النون مع الخاء والغين والحق أقول أن مرد ذلك وقوعه بعد الميم شبهه، إذ هو ضرب من استثقال تجاور المتشابهات.

وإذا تأملته وجدته كذلك مع "مُنقل" و "منكف" فإنك تخفي النون أو بعضه كل أولئك لما قبله لا لما بعده.. فتأمّل.

وقولك في التركيب "من قبلِ" على الإعراب، وعليه قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[110] وقوله جل شأنه: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾[111]، فإنّ القراءة الصحيحة على إخفاء صوته وإبقاء صداه وأثره ومثله نظيره.

وإذا كان (النون) يخفى بعد (الميم) فأولى به أن يخفى إذا وقع بين ميمين وهو حينئذ أدعى للخفاء نحو قولهم: "مِمَّا" إنما الأصل: "مِنْ ما" ومذهب سيبويه فيه والأمة أنه إدغام[112] وعندنا هو على التعويض بالتشديد بعد الخفاء، مراعاة للبناء، ومثله قولك "مَمَّعَك" في "مِنْ معك"؟ وإنما

108- سورة الجن، الآية 25.

109- سيبويه، ج 4، ص451.

110- سورة البقرة، الآية 237.

111- سورة المائدة، الآية 113.

112- نفسه.

استثقل لأنه وقع بين مثلين فخفي لاسيما وأن طبيعة النون والميم الساكنة واحد وهي الغنة وعُوض عنه بتشديد (الميم).

والحالة نفسها وهو مع (الباء) نحو: "قولهم: ممبك، يريدون: من بك"[113] وهو عند سيبويه على القلب[114] وعندنا على الخفاء والتعويض بالتشديد.

وكذلك قولهم: "شمباء وعمبرٌ، يريدون شنباء وعنبراً"[115] وقولهم: "من بدا لك"[116].

وقد علق سيبويه على ذلك بأن "الميم لا تقع ساكنة قبل الباء في كلمةٍ، فليس في هذا التباسٌ بغيره"[117].

وسيبويه يحيله على القلب؛ كتب: "وتقلب النون مع الباء ميماً لأنها من موضع تعتل فيه النون فأرادوا أن تدغم هنا إذ كانت الباء من موضع الميم"[118] وبذلك قال ابن السراج[119].

أمّا ابن جني فقد أحاله على الإبدال[120] أما عندنا فهو على الخفاء والتعويض بالتشديد.

ومن المتشابه في الطبيعة (الدال والذال) جاء في التهذيب أن "د ذ: مهمل"[121].

وفيه كتب سيبويه: "وكذلك تبدل للذال من مكان التاء أشبه الحروف بها؛ لأنّهما إذا كانتا في حرف واحد لزم أن لا يبيّنا إذ كانا يدغمان منفصلين، فكرهوا هذا الإجحاف، وليكون الإدغام في

113- نفسه، ص453.

114- نفسه.

115- سيبويه، ج 4، ص453.

116- نفسه.

117- نفسه.

118- نفسه.

119- ابن السراج، الأصول في النحو، ج 3، ص416 و417.

120- ابن جني، الخصائص، ج 2، ص35.

121- الهروي، تهذيب اللغة، ج 14، ص43.

حرفٍ مثله في الجهر، وذلك قولك مُدّكرٌ"[122] واستشهد بقوله تعالى: (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) ثم أشار إلى أن الأصل (مذدكر)[123].

وسبيله عندهم بقلب الذال دالا والإدغام. كتب ابن جني: "ومن ذلك قلبهم الذال دالا في ادَّكر وما تصرَّف منه نحو يدَّكِر ومُدَّكر وادِّكار وغير ذلك تدَّرجوا من هذا إلى غيره بأن قلبوها دالا في غير بناء افتعل"[124] وعندنا على الحذف استثقالا والتعويض تشديدًا.

أمّا تألف (الدال) بعد (الذال) فقد جاء في التهذيب: "يُقَال: ذُدْتُ الإبلَ أَذودها ذوْداً إِذا طَردتَها"[125] وهو إن كان جاء منه لفظ فرد فهو على الندرة كما أنه تألّف مستثقل.

ومن المتشابهات طبيعة أيضا (الظاء والضاد) وشاهده قولك: "احفضرمة، وخضرمة، وابعضرمة"[126] تريد: احفظ ضرمة، وخذ ضرمة، وابعث ضرمة.

ومن المتشابهات طبيعةً فقط كذلك الهمزة والمعلولان "الواو والياء" لعلة الاعتلال، ومما يعضد من ذلك أن الهمزة جاء بدلا من الواو "وذلك نحو قولهم في ولد: ألد، وفي وجوه: أجوه"[127] وكذلك "أبدلت الواو الأصليّة نحو أُجُوه وأُقِّتَتْ"[128]. وفي ورخ الكتاب، أرخقاله ابن الوراق[129].

122- سيبويه، ج 4، ص469.

123- نفسه، ص470.

124- ابن جني، الخصائص، ج 1، ص352.

125- الهروي، تهذيب اللغة، ج 14، ص106.

126- سيبويه، ج 4، ص465.

127- سيبويه، ج 4، ص331.

128- ابن جني، الخصائص، ج 1، ص140.

129- ابن الوراق، علل النحو، ص258.

وعليه نأى المنطق عن تجاور الهمزة والمعلولين، ومن ذلك قولهم في "طيِّيء" "طائي" وقياسه "طيْئِيٌّ"[130] لكنهم تركوا القياس استثقالا لموالاة الهمزة للياء.

وما حدث في تقديري ليس إبدال الياء ألفا كما ذهبوا[131] بل حذف الياء ومد حركة الطاء تعويضا عن الحذف وتيسيرا.

ثالثًا: المتشابه في الجرس والصدى.

ومنه (التاء والطاء) واختلافهما طبيعةً في التفخيم، وهما لا يتواليان، وقد جاء في التهذيب أنّ الطاء والتاء مهمل[132] وفي تركبهما حالتان:

- حالة يكون تدرج المنطق فيها من التاء إلى الطاء، وهي غير مرفوضة والمنطق فيه بالخيار إمّا النطق بهما متواليان، أو نزع التاء والتعويض عنها بتشديد الطاء.
- وحالة ترفضها اللغة وهي التي تسبق فيها الطاءُ التاء.

فأمّا الحالة الأولى فنحو قولهم: "يطّوعون في يتطوعون"[133] وعليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾[134].

وعليه قول سيبويه: "الإدغام في هذا أقوى، إذ كان يكون في الانفصال، والبيان فيهما عربيٌّ حسن لأنهما متحركان، كما حسن ذلك في يختصمون ويهتدون، ويسمعون في يتسمعون" وهذا الأخير على التقارب وليس على التشابه.

130- بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي (ابن عقيل)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تقديم: الدكتور إميل يعقوب، ج 2، ط 7، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010م، ص217.

131- نفسه.

132- الهروي، تهذيب اللغة، ج 13، ص199.

133- سيبويه، ج 4، ص474.

134- سورة التوبة، الآية 79.

ومنه قولهم: "اطّوع" في "تطوع" و"اذّكر" في "تذكر" إنّما هو على البديل؛ إذ نزعت (التاء) استثقالا وعوض عنها بتضعيف (الطاء) غير أن المنطق لا يبدأ بساكن؛ فجلبت همزة الوصل لذلك، ومن شاهده قوله عز وجل: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾[135].

ومنه أيضا قولهم: "يسطيع في يستطيع واسطاع في استطاع حيث استقلوا في يسطيع التاء مع الطاء، وكرهوا أن يدغموا التاء في الطاء فتحرك السين وهي لا تحرك أبدا فحذفوا التاء"[136].

وشاهده قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوه﴾[137] وفيه كتب الزجاج: "أصلها استطاعوا بالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجتماعهما ويخف اللفظ"[138]، ونظيره كذلك قوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[139]وأصله فتطهروا.

وقد جاء عن الزجاج:" وقوله: ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾ معناه فتطهروا إلا أنّ التاء تدغم في الطاء لأنّهما من مكان واحد، وهما مع الدال من طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، فإذا أدغمت التاء في الطاء، سقط أول الكلمة فزيد فيها ألف الوصل، فابتدأت فقلت اطّهروا"[140].

ومن شواهد القرآن فيه أيضا قوله تعالى: ﴿الذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾[141] إنّما الأصل "المتطوعين" استقلت التاء قبل الطاء فحذفت، وعوض عنها بتشديد الطاء.

135- سورة النمل، الآية 47.

136- سيبويه، ج 4، ص483.

137- سورة الكهف، الآية 97.

138- أبوإسحاق ابراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن واعرابه، شرح وتحقيق دكتور: عبد الجليل عبده شلبي، ج 3، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م، ص312.

139- سورة المائدة، الآية 9.

140- نفسه، ج 2، ص155.

141- سورة التوبة، الآية 79.

ومن شواهده في التركيب قولك: "واضبط تلك"[142] حيث "يثقل التكلم به لشدتهن، وللزوم اللسان موضعهن لا يتجافى عنه"[143] فتنطقها: "اضبتّلك" وهو عنده على الإدغام[144] وطريقتنا فيه أنه على تشديد (التاء) بعد خفاء (الطاء) شبيهه المفخم.

وأمّا الحالة الأخرى فهي التي يسبق فيها صوتُ الطاء صوتَ التاء وهي مرفوضة، فيطرح صوت التاء، ويعوض عنه بتشديد صوت الطاء، وذلك قولك: اطّعنوا؛ وإنما الأصل فيه "اطتعنوا" لأن المزيد هو (التاء) غير أن المنطق يأباه بعد (الطاء) وتلك طبيعة المنطق في تألّف الأصوات وحياكة الالفاظ.

وهو عند سيبويه على قلب التاء طاءً والإدغام[145] حيث أشار إلى أن صوت التاء لا يوالي صوت الطاء. كتب: "ولا تُدغم الطاء في التاء فتخل بالحرف لأنهما في الانفصال أثقل من جميع ما ذكرناه"[146].

ومن المتشابه جرسا أيضا (النون واللام) وهما من حيّزٍ صوتيٍّ واحد؛ فمخرج اللام قريب من مخرج النون وعليه فإنهما يشتركان في الحيز وفي الشبه.

فأمّا الحيز فلأن مخرج النون مجاور لمخرج اللام، فكما يستثقلان على علة التجاور، يستثقلان كذلك على علة التشابه؛ غير أنّ وقوع النون أولاً أشد ثقلة، وقد جاء في التهذيب أن "نل: أَهمله اللَّيْث"[147].

142- سيبويه، ج 4، ص461.

143- نفسه.

144- نفسه.

145- نفسه، ج 4، ص470.

146- نفسه.

147- الهروي، تهذيب اللغة، ج 15، ص239.

وأمّا التشابه ففي الصدى والجرس، وقد نصّ العكبري من قبل على أن "اللَّام تشبه النُّون"[148] وكتب في موضع آخر "اللاّمُ تُشْبه النونَ في انبساطها وتقرب من مخْرَجِها؛ لأنَّ اللاّمَ تخرجُ من أسَلَةِ اللسانِ وحافته الْيُمْنَى والنونُ من أَسَلة اللِّسَان"[149].

وبه قال ابن عصفور فكتب: "فاللاّم فمُشْبِهةٌ للنُّونِ، من حيث تستطيل في مخرجها حتّى تلحقَ بمخرج النون"[150].

وعليه يستثقل (النون) قبل اللام وقد أحال سيبويه هذه الحالة على الإدغام، كتب: "وتدغم في اللام لأنها قريبةٌ منها على طرف اللسان، وذلك قولك: منْ لك"[151] وعندنا هو على التعويض بتشديد اللام بعد الخفاء.

وعلى كلٍّ فإنّ (النون) يُستثقل ساكنا إذا جاء قبل (اللام) فيُخفى طلبا للخفة في حياكة الألفاظ.

ومن أوجه استثقال (النون) قبل (اللام) قول أبي العباس المبرد أو هو حميد الأمجي[152].

حُميـــدُ الـــذي أمَـــجٌ داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلعُ

قال ابن جني: "يريد حُميدٌ"[153] ومثله:

148- العكبري، اللباب، ج 1، ص219.

149- نفسه، ج 2، ص226.

150- ابن عصفور، الممتع، ص142.

151- سيبويه، ج 4، ص425.

152- أبوالبركات عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ/1998م، ص644. وأبوزيد الأنصاري، النوادر في اللغة، جامعة الفاتح (سابقاً)، [د.ت]، ص368. وابن منظور، اللسان، مادة (أمج).

عمرُوِ الذي هشم الثَّريد لقومه ورجال مكةَ مُسْنِتُونَ عِجاف[154]

قال ابن جني: "أراد عمرّو الذي"[155].

ومن استثقال (النون) وبعدها (اللام) "قولهم في بني العنبر وبني الحارث: بلعنبر وبلحارث، بحذف النون"[156] وقد وصفه سيبويه بالشاذ[157].

ولا يلتفت لـ (النون) الذي يؤتى به علامة؛ كما في "نلْتَ ونِلنا" ونحوه لأنّه ضرورة طارئة فلا اعتبار له إذ ليس هو من أصل اللفظ، فـ(النون) باعتبار طبيعته وخفته كثيرًا ما يستدعيه المنطق فيختاره علامة لكثير من الدلالات كالمضارعة والتوكيد والنسوة، وغيرها.

أمّا وقوع (النون) بعد (اللام) فلا يرفضه المنطق؛ لكنه قد يَعرض عنه لذات الأسباب.

ومن ذلك ما أورده سيبويه عن الخليل قوله:" فإن قلت: لعلي ليس فيها نون، فإنه زعم أن اللام قريب من النون، وهو أقرب الحروف من النون. ألا ترى أن النون قد تُدغَم مع اللام حتى تبدَل مكانها لام، وذلك لقربها منها، فحذفوا هذه النون كما يحذفون ما يكثر استعمالهم إياه"[158].

وكتب ابن جني، "ونحوٌ من ذلك ما يحكى عنهم من قولهم التقت حلقتا البِطَان بإثبات الألف ساكنة في اللفظ قبل اللام وكأن ذلك إنما جاز ههنا لمضارعة اللام النون ألا ترى أن في مقطع اللام غُنّة كالنون وهي أيضاً تقرب من الياء حتى يجعلها بعضهم في اللفظ ياء فحملت اللام في هذا على النون كما حملت أيضًا عليها في لَعَلّي ألا تراهم كيف كرهوا النون من لعلَّنى مع اللام

153- أبوالفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد إسماعيل، وأحمد عامر، ج 2، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ/2007م، ص189.

154- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 2، ص189.

155- نفسه.

156- سيبويه، ج 4، ص484.

157- نفسه.

158- نفسه، ج 2، ص369.

كما كرهوا النون في إنني"[159] وعن أبي حيان أن "الكثير لعلي وقل لعلني"[160] وزعم أنها للوقاية[161].

ومن المتشابه جرسا (الطاء والظاء) فهما أيضا لا يأتلفان؛ إذ ليس في منطق العرب، (طاء) قبل (ظاء) ولا (ظاء) قبل (طاء) وإن تجاورا استثقلهما المنطق فيعرض عن الأول منهما وذلك نحو قولك: "احفطالباً"[162] تريد: "احفظ طالبًا" غير أنّ المنطق استثقل الانتقال من الظاء إلى الطاء، ومثله عكسه نحو: "اهبظالماً"[163] إنّما استثقل المنطق الانتقال من (الطاء) إلى (الظاء) فطرح السابق، وعوض عنه بتشديد اللاحق.

من المتشابه جرسًا أيضًا (الضاد والظاء) فهما لا يأتلفان وعليه ما جاء في التهذيب من قول شمر: "ليس في كلام العرب ضاد مع الظّاء غير الحُضَظ"[164] و"الحُضَظ لغة في الحُضَض: وهو دواء يتَّخذ من أبوال الإبِل"[165] وقول شَمِرٌ أيضًا: "لم أسمع الضّاد مع الظّاء إلا في هذَا"[166].

ومن ذلك قولهم: "اضّجَر" في "اضْطَجر"[167] وإنما أمره استثقال (الضاد) قبل (الطاء) لما بينهما من نشابه في النحيزة، وعليه ففي تواليهما كراهةٌ واستثقال.

159- ابن جني، الخصائص، ج 1، ص93 و94.

160- أبوحيان، ارتشاف الصرب، ج 2، ص923.

161- نفسه.

162- سيبويه، ج 4، ص464.

163- نفسه.

164- الهروي، تهذيب اللغة، ج 4، ص117.

165- نفسه.

166- الزبيدي، تاج العروس. مادة (حضض).

167- سيبويه، ج 4، ص468.

ومن المتشابه جرسا أيضا (الذال والظاء) وقد نصّ سيبويه على أنهما "أخوات، وهن حيز واحد"[168] وعند ابن جني أنّ مخرجهما واحد[169] والصحيح ما قاله سيبويه؛ إذ هما صنوان في الحيز وليس في المخرج، وقد جاء في التهذيب أن "ذ ظ" مهمل[170] وأنّ الظاء والذال مهمل[171].

ومما يعد متشابه في الجرس (الذال وأصوات الصفير) وفيه كتب سيبويه: "سمعناهم يقولون مزمانٌ، فيدغمون الذال في الزاي، ومساعةٌ، فيدغمونها في السين"[172] وأردف: والبيان فيها أمثلٌ"[173].

وكذلك الأمر مع (الزاي) إذ ليس في منطق العربية (ذال فزاي) ولا (زاي فذال).

ومِمّا يُستثقل على التشابه تجاور (الثاء) و(الطاء) وقد جاء في التهذيب أن "طث وثط" كلاهما مستعمل[174] وجاء فيه أيضًا" الطّثُّ: لعبة للصبيان يَرمون بخشبةٍ مستديرةٍ تسمَّى المطثّة، والثّطُّ والنَّطُّ لغتان، والثّطّ أكثر وأصوب، والثّطّاء مِن النّساء: الّتي لا إسب لها؛ يعْني شعْرة ركبها والأثطّ الرّقيق الحاجبَين، ورجلٌ ثطَّ الحاجبَين، وامرأة ثَطّة الحاجِبين"[175] ومع ذلك هو ليس على الجزالة والاستحباب؛ بل هو على الكراهة والاستثقال.

168- نفسه، ص464.
169- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص47.
170- الهروي، تهذيب اللغة، ج 13، ص111.
171- نفسه، ج 13، ص199.
172- سيبويه، ج 4، ص464.
173- نفسه.
174- الهروي، تهذيب اللغة، ج 13، ص199.
175- نفسه.

ومن المتشابه جرسا أيضا (التاء والثاء) فهما لا يتواليان في منطق العرب البتة، وعليه جاء عن الهروي أنّ "ع ت ث مهمل"[176] وجاء عنه أيضًا أنّ "هـ ت ث أهملها اللَّيْث"[177].

ومن شواهد هذا التوالي قول سيبويه: "إذا كانت هذه الحروف المتقاربة في حرفٍ واحدٍ، ولم يكن الحرفان منفصلين ازداد ثقلاً واعتلالاً، كما كان المثلان إذ لم يكونا منفصلين أثقل، لأنّ الحرف لا يفارقه ما يستثقلون، فمن ذلك قولهم في مثترِدٍ: مثردٌ لأنهما متقاربان مهموسان، والبيان حسنٌ، وبعضهم يقول: متثردٌ؛ وهي عربية جيدة. والقياس متردٌ"[178].

وكذلك (التاء) بعد (الثاء) نحو قولك: "انعثاباً" تريد: "انعت ثابتا"[179] وعن سيبويه أنهم "قالوا حدتّهم يريدون حدثْتهم فجعلوها تاء"[180].

ونرى أنّ سيبويه وصفها بالحروف المتقاربة؛ غير أننا نرى هذا التقارب هو في الجرس والنحيزة لا في المخرج والحيز.

ومن المتشابهات جرسا (الدال والضاد) وقد جاء فقط علىحالة تقدم الضاد "ضد" وقد جاء في التهذيب عن نوادر الأعراب: "رَضَدْتُ المتاعَ فارتَضد"[181] ومِمّا سوّغ من ذلك أن (الضاد) أثقل من (الدال) وليس فيه غضاضة في المنطق؛ لأنه منسجم مع طبيعتها في التألف والتدرج، وإن كان فيه شيء من الكلفة لما بين الصوتين من تشابه في الجرس.

أمّا تألف (الدال) قبل (الضاد) فليس هو من منطقهم؛ لأنه مخالف لعرف التدرج ومنطق اللغة.

176- الهروي، تهذيب اللغة، ج 2، ص156.

177- نفسه، ج 6، ص127.

178- سيبويه، ج 4، ص468.

179- نفسه، ص464.

180- نفسه.

181- الهروي، تهذيب اللغة، ج 12، ص5.

خاتمة:

كان البحث في استثقال توالي المتشابه من الأصوات في بنية ألفاظ العربية، وقد خلص إلى أنّ التشابه نوع من التقارب؛ غير أنّه ليس بتقارب مجاورة بل هو تقارب طبيعة وصوتا.

والمتشابه من الأصوات وفق ما نتائج البحث ثلاث أنواع:

- نوع متشابه في الجرس والطبيعة والصدى كـ (الواو والياء).

ويقوي من هذا التشابه وقوع أحدهما بديلا عن الآخر في كثير من الحالات بإبدال الواو ياءً أو الياء واو والأول أكثر؛ لأنّ الياء أخف عليهم من الواو.

وخلص البحث أيضًا إلى أن المد كذلك هو من هذا الحيز لما بينه وبين المعلولين في شبه من الصدى.

- نوع متشابه في الطبيعة فقط كالذي بين (الواو والياء) من جهة أخرى، وأصوات بين بين (النون والهمز والهاء) من جهة أخرى.

وقد خلص البحث إلى شبه بين هذه الأصوات من جهة الطبيعة، فالواو والياء صوتان عليلان والنون وكذلك الهمزة والهاء فيهما نصيب من الاعتلال ولذلك شابه بعضهما بعضا ومن ثم استثقل المنطق توالي بعضها بعضا أيضا.

ومما خلص إليه البحث أيضا في هذا الحيز مشابهة النون لأصوات الفم (الميم والفاء) وعليه يخفى النون كلما وقع ساكنا قبل الميم أو قبل الفاء.. كل ذلك هروبا من تجاور المتشابهات.

- نوع ثالث متشابه في الجرس فقط مع اختلاف في الرقة والفخامة؛ كالذي بين "التاء والطاء".

وقد خلص البحث إلى هناك أصواتا تتشابه فقط في الجرس منه التاء والطاء وعليه نأى المنطق أن يجاور أحدهما الآخر لاسيما الطاء قبل التاء.

وخلص إلى أن في تركبهما حالتين:

- حالة يكون تدرج المنطق فيها من التاء إلى الطاء وهي غير مرفوضة، والمنطق فيه بالخيار إمّا النطق بهما متواليان، أو نزع التاء والتعويض عنها بتشديد الطاء.
- وحالة ترفضها اللغة وهي التي تسبق فيها الطاءُ التاء.

وكذلك الأمر مع (الطاء والظاء) و(الضاد والظاء) و(الذال والظاء) و(الذال وأصوات الصفير) و(التاء والثاء) فينسحب على كل منها الحكم نفسه من استثقال تواليهما لعلة المشابهة في الجرس.

المصادر والمراجع

1- أبوإسحاق ابراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن واعرابه، شرح وتحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م.

2- أبوالبقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1995م.

3- بهاء الدين أبومحمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قدم له ووضع هوامشه، الدكتور إميل يعقوب، ط 7، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010م.

4- أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1430هـ/2009م.

5- أبوالبركات عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ/1998م.

6- أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

7- أبوبكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، [د.ت].

8- أبوالفتح عثمان ابن جني، التصريف الملوكي، ط 2، [د.ن]، [د.م]، [د.ت].

9- الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، ط 5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م.

10- سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد إسماعيل، وأحمد عامر، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ/2007م.

11- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: 395هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م.

12- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبوعلي، التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق: د.عوض بن حمد القوزي، ج 5، ط 1، [د.ن]، 1410هـ/1990م.
13- الحسين بن أحمد بن خالويه، أبوعبد الله (المتوفى: 370هـ)، ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط 2، مكة المكرمة، 1979م.
14- أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1996م.
15- أبوالحسن محمد بن عبد الله الوراق المتوفى (سنة 381 هـ)، علل النحو، تحقيق: محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2008م.
16- أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
17- علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور (المتوفى: 669هـ)، ط 1، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، 1996م.
18- عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري المراكشي، أبوموسى (المتوفى: 607هـ)، المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: د. شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أم القرى، [د.م]، [د.ت].
19- أبوالقاسم عمر بن ثابت الثمانيني (المتوفى: 442هـ)، شرح التصريف، تحقيق: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، ط 1، مكتبة الرشد، 1419هـ/1999م.
20- أبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق د. علي بو ملحم، ط 1، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.
21- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبومنصور (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، ط 1، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
22- محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين (المتوفى: 686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبدالقادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي

عام 1093 من الهجرة، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1395هـ/1975م.

23- محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، [د.م]، [د.ت].

24- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ط 1، دار صادر، بيروت، [د.ت].

25- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبوالعباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، [د.ت].

26- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، موفق الدين الموصلي، (المتوفى: 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1422هـ/2001م.